التراث العربي
سلسلة تصدرها دائرة المطبوعات والنشر
في الكويت
- ٤ -

العِبَر
في خَبَرِ مَن غَبَر

لمؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي
٧٤٨ هـ - ١٣٤٧ م

الجزء الأول

بتحقيق
الدكتور صلاح الدين المنجد
مدير معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية

الكويت ١٩٦٠

مقدمة المحقق

١

ولد الذهبي بدمشق سنة ٦٧٣ هـ في أوائل عصر المماليك . وقد انطلق منذ صغره نحو العلم بتأثير أسرته وأقربائه ، وأصيب بنهم في التعلم حتى بلغ عدد شيوخه ألفاً ومئتين وأزيد ، وكان من أقران ابن تيمية والمزّي والبرزالى . وقد كان هو ، وهؤلاء الثلاثة أعلام الحديث والفقه والتاريخ في القرن الثامن . أثّروا في عصرهم تأثيراً يزيد وينقص ، وخلّفوا بعدهم آثارًا وتواليف ضخمة تعتبر مفخرة في تراثنا العربى الإسلامى . وتوفوا جميعاً الواحد بعد الآخر ، في القرن نفسه ، وكان آخرهم وفاة الذهبى ، كما كان آخرهم ولادة ، توفي سنة ٧٤٨ هـ عن خمس وسبعين سنة ، ودفن في مقابر الباب الصغير بدمشق ، بعد أن أطفأ القلم وكثرة القراءة نور عينيه ،وبعد أن لقّبه معاصروه « مؤرخ الإسلام ومحدّث العصر » . وترك عشرات من المؤلفات الضخمة النادرة. (١)

٢

لقّب الذهبي بمؤرخ الإسلام لأنه ألّف « تاريخ الإسلام » في أحد وعشرين مجلدًا ضخماً . بدأ به من أول الإسلام إلى أول القرن الثامن ، وقد جمع فيه الحوادث التى وقعت سنة سنة ، إلى وفيات الكبار من الخلفاء والقرّاء والزهّاد والفقهاء والمحدّثين والعلماء والسلاطين والوزراء والنحاة والشعراء . . .

ثم رأى أن تاريخ الإسلام هذا واسع جداً ، فأراد أن يضع تاريخاً

---

(١) انظر عن حياة الذهبى وآثاره المقدمة الواسعة التى قدمنا بها المجلد الأول من « سير أعلام النبلاء » . وكذلك الجزء الثالث من كتابنا « أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب » .

أقصر منه ، فوضع تاريخه — الذى تنشره اليوم دائرة المطبوعات والنشر في الـكويت — وهو « العبر في خبر من غبر » ، وجعله في مجلّدين ضخمين ، وجعل فيه لُبّ تاريخه الـكبير سواء في الحوادث أو الوفيات .

وقد بدأه بقـوله :

« .. هـذا تاريخ مختصر على السنوات أذكر فيه ما قدّر لى من أشهر الحوادث والوفيات ، مما يتعيّن على الذكىّ حفظه ، وينبغى للطالب ضبطه ، ويتحتّم على العالم إحضاره . »

وأنهـاه بقوله :

« انتهى ما أردتُ إيراده من كبار الحوادث ، وأكابر الناس من العلماء والرواة والأعيان . . . »

فنحن نرى أن الذهبى أراد أن يجعل لتأريخه هذا ميزة خاصة وهى أن يذكر فيه ما وقع خلال القرون السبعة للإسلام ، من أشهر الحوادث وأشهر المتوفين ، فهو إذن لُبّ التاريخ الـكبير .

ولا ندرى على الضبط متى بدأ بتأليفه ، والمرجّح أن ذلك كان بعد انتهائه من تاريخه الكبير . فنحن نعلم أنه فرغ من تاريخ الإسلام في سنة ٧١٤ هـ . وهو يحدثنا في آخر كتاب العبر أنه فرغ منه في سنة ٧١٥ هـ ، فيكون قـد لخّص تاريخه الكبير في السنة التى تلت الفراغ منه .

على أننـا بعد أن قايسنا ما في العبر من الحوادث والوفيات ، بما في تاريخ الإسلام منها ، رأينا أن الذهبى لم يتقيّد تماماً بما ذكره في التاريخ الـكبير . فقد وجدنا في العبر من الحوادث والوفيات ما ليس مذكوراً في التاريخ ، ووجدنا في التاريخ منها ما ليس مذكورًا في العبر ، وهذا الأمر يدلّ على أن الذهبىّ كان يختار ، ويؤلّف ، ولا يلخّص فقط ، ومن هنا نستنتج أنه لا غنى للباحث والعالم عن كلٍّ من الكتابين ، وأنّ لكلٍّ من التاريخين صفاته الخاصة ومزاياه .

هذه المزايا التى اختصّ بها كتاب العبر ، جعلت له شأناً عند العلماء والمؤرخين . ذلك أن من الأسهل والأيسر للعالم والطالب أن يقرأ مجلّدين فيهما خلاصة التاريخ الإسلامى ، في الحوادث والوفيات ، باختيار مؤرّخ كبير كالذهبي ، من أن يقرأ مثلا واحداً وعشرين مجلداً ضخماً . لذلك وجدنا كثيراً من العلماء اعتمدوا عليه في نقولهم . ونخصّ بالذكر عالمين كبيرين : الأول ابن العماد الحنبلى ، فقد نقل منه نقولاً واسعة في كتابه « شذرات الذهب » والثانى مؤرخ دمشق النُعَيْمى ، فقد اعتمد عليه اعتماداً واضحاً في كتابه « تنبيه الطالب » الذى طبع باسم « الدارس في تاريخ المدارس » .

وثمة مظهر آخر من مظاهر شأن العبر هو أن العلماء ذيّلوا عليه ، أى تابعوا الذهبي في ذكر كبار الحوادث والوفيات في العصر الذى تلا عصر الذهبي ، وسمّوها « ذيول العبر » .

٣

اعتمدنا في نشر العبر على مخطوطتين جيدتين . الأولى كنا قرأناها أيام مقامنا في باريس ، في المكتبة الوطنية . وهى في مجلدين كبيرين ، رقمهما Arabe 1584, 1585 .

ينقص من المجلد الأول الورقة الأولى . . فيه من السنة الأولى للهجرة إلى سنة ٤٤٣ هـ .

وينتهى بما يلى :

« فرغه لنفسه ولمن شاء الله بعده فقير رحمة ربه محمد بن على بن الحسن بن حمزة الحسينى عفا الله عنه . ووافق ذلك يوم غرة صفر عام ست وخمسين وسبع مئة بخانقاه الطواويس بدمشق . والحمد لله رب العالمين وصلواته على نبيه محمد وآله وسلم . وهو حسبنا ونعم الوكيل . »

أما المجلد الثانى فهو كامل .

على الورقة الأولى :

المجلد الثانى من كتاب العبر

فى خبر من غبر

« تصنيف الشيخ الإمام العلامة الحافظ العمدة الحجة شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ابن الذهبى رحمه الله » .

وتحت ذلك ضمن دائرة مثمنة الجوانب

برسم الخزانة الشريفة

السلطانية الملكية الناصرية

أبي السعادات فرج

خلد الله تعالى ملكه

وثبت دولته

بمحمد وآله .

ويبدأ هذا المجلد بحوادث سنة أربع وأربعين وأربع مئة ، وينتهي في سنة ٧٠٠ . وهو بخط الحافظ الحسيني نفسه . إلاّ أنّ الورقة الأخيرة منه قد انتزعت . وهى التى تشير إلى اسم الكاتب وسنة الفراغ من الكتابة .

والمجلدان بخط نسخي جميل ، مهمل النقط أحياناً كثيرة .

وميزة هذه النسخة أنّ كاتبها هو الحافظ الحسيني . وهو من كبار علماء الحديث في القرن الثامن . وكان تلميذاً للذهبي ، وأعْرَفَ الناس بشيوخ الحديث المعاصرين له . وقد نصّ ابن حجر على أن خطّه « معروف حلو » وأنه كتب بخطه الكثير . وقد ولع بالتذييل على كتب شيخه الذهبي ، فذيّل على « العبر » وذيّل على « طبقات الحفّاظ » هذا إلى جانب تواليف وتصانيف كثيرة تركها في الرجال .

أما النسخة المخطوطة الثانية فهى مخطوطة المكتبة الأحمدية بحلب . برقم ١٢١٨ . . في مجلد واحد كامل ، يقع في ٤٠٠ ص تقريباً .

كتب على الورقة الأولى منها

تاريخ الذهبى رحمه الله

وفي آخرها ، بخطٍّ غير خط النسخة

« هذه النسخة المباركة بخط الحافظ ابن حجر

العسقلانى رحمه الله . . . »

وقد قارنّا خطّ هذه النسخة بمسوّدة مخطوطة « إنباء الغمر » التي كتبها ابن حجر بخطه ، والمخطوطة بدار الكتب الظاهرية بدمشق برقم ٢٤١ تاريخ فوجدنا أن الخط في مخطوطة العبر هو خط ابن حجر نفسه . وهو خط صعب سقيم ، يهمل النقط ولا يتقيّد بقواعد رسم الحروف .

وقد كان معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية قد صوّر مخطوطتي العبر من باريس وحلب ، وضمّهما إلى مجموعاته النفيسة ، وقد اعتمدنا على مصوّرات المعهد في التحقيق .

٤

نهج التحقيق

إن مخطوطة الحسيني صحيحة على الغالب ، إلاّ أننا لاحظنا أحياناً أن هناك تصحيفات قليلة في أسماء الأعلام . ولقد قرأ هذه النسخة عالم آخر لم يذكر اسمه ، وصحّح ما أخطأ فيه الحسيني . ولعل هذه الأخطاء من السرعة ، فقد ذكر ابن حجر أن الحسيني نسخ العبر في خمسة أيّام . وقد اتخذنا نسخة الحسيني أصلاً ، ورجعنا إلى نسخة ابن حجر لاستيضاح ما التبس علينا أمره من الألفاظ ، ولاستكمال ما في نسخة الأصل من خروم ، ويمكن القول أن النسختين متفقتان ، إلاّ من بعض ما ورد في هذه أو تلك من تصحيف أو تحريف .

وقد كان جلّ اهتمامنا عند تحقيقنا هذا الكتاب هو ضبط أسماء الأعلام بالشكل أو باللفظ . ذلك أننا وجدنا الكثير من كتب الرجال طبعت دون العناية بضبط أسماء الرجال فيها ، لذلك كانت الفائدة منها قليلة . وكذلك أشرنا إلى الأماكن وأحلنا إلى المراجع التي ذكرتها .

وقد جعلنا أمام كل حادثة أو وفاة نقطةً سوداء ليسهل الرجوع إليها .

وفيما عدا ذلك رجعنا إلى قواعدنا في تحقيق النصوص .

ه

شكــر

ومن الواجب شكران دائرة المطبوعات والنشر في الكويت على إخراجها هذا التاريخ الحافل الموجز في سلسلة التراث العربي . فنحن واثقون أنّ الفائدة منه ستكون جزيلة ، لأنه سيُغني الباحث ، عن كتب كثيرة مختلفة . وسيسجّل العلماء ، عند دراسة النهضة العلمية العربية المعاصرة ، هذه اليد البيضاء ، لدائرة المطبوعات في الكويت ، في بعث التراث العربيّ ونشره بين الناس . لأن هذا العمل هو الأساس الأوّل لنهضة اليوم وازدهار المستقبل ، وليس الحاضر إلا جسراً بين الأمس والغد .

القاهرة — صلاح الدين المنجد